الفصل الخامس
نماذج من القرآن والسنة والسلف الصالح للمراهقين

المبحث الأول: من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: من السنة النبوية.

المبحث الثالث: من السلف الصالح.

المبحث الأول
من القرآن الكريم

المطلب الأول: إبراهيم الفتى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: يحيى الصبي عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: يوسف الفتى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: فتية أهل الكهف.

المبحث الأول
من القرآن الكريم

المطلب الأول
إبراهيم الفتى عليه الصلاة والسلام

أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم عن عدد من الأنبياء أنهم نشأوا منذ الصِّغَر على الاستقامة والهداية والرشد وحبِّ الخير والفطرة السويَّة السليمة والمستقيمة، التي تنافي كل أنواع الانحرافات والضلالات.

فقد أخبرنا الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده في صباه فَعَرَّفَه به وبجلاله وكماله ووجوب الإيمان به وعبادته وحده، وأن عبادة من سواه باطلة، وأخذ يدعو والده وقومه إلى هذه العقيدة الحقة، ويُنكر عليهم عبادة الأصنام والأوثان التي يعكفون عليها، ويعيب صنيعهم هذا، وقد كان فتًى صغيراً كما قال الله عز وجل ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[1].

وقد دعا إبراهيم قومه باللسان، والحجة والبرهان، وقدَّم لهم النصائح فلم يستجيبوا له، عندها عزم على تغيير المنكر بيده فاستغل فرصة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد حيث ذهب إلى الأصنام فكسرها وجعلها قطعاً متناثرة ثم علَّق الفأس بكبيرها، ولمّا عاد القوم في المساء ذهبوا إلى آلهتهم فوجدوها محطمة مكسَّرة، ولمَّا سألوه مَنْ فعل هذا بآلهتنا؟ أجابهم مستهزئاً موبخاً مقيماً عليهم الحجة، أن كبيرهم هو الذي حطمهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون وكأنه عليه الصلاة والسلام يقول لهم: كيف تعبدون مَنْ لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر، بل ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيره.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 60.

وقد قصَّ الله تعالى علينا قصته وحواره مع قومه في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾(1).

قال سيِّد قطب رحمه الله: «عندما تذكَّر الذين سمعوا إبراهيم ينكر على أبيه ومَنْ معه عبادة هذه التماثيل، ويتوعدهم أن يكيد لآلهتهم بعد انصرافهم عنها! ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

ويبدو من هذا أن إبراهيم عليه السلام كان شاباً صغير السن، حينما آتاه الله رشده، فاستنكر عبادة الأصنام وحطمهما هذا التحطيم»(2).

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام هداه الله وآتاه رشده، فتَحَمَّل المسؤولية وهو فتى صغير السن، في بداية مرحلة الشباب، التي تعتبر من أفضل وأهم مراحل العمر نشاطاً وعطاءً وإنتاجاً. فهذا يؤكد لنا أن هذه المرحلة هي مرحلة تكليف، وليست مرحلة لهو ولعب وعبث وضياع للوقت في المحرمات والموبقات.

المطلب الثاني
يحيى الصبي عليه الصلاة والسلام

حِرصاً من زكريا عليه الصلاة والسلام على المحافظة على الدعوة إلى الله وعلى استمرار الخير، ولأنه خاف وخشي أن يتصرف الناس من بعده تصرفاً سيئاً، ولا يستطيعوا تحمل الأمانة والمسؤولية بحق، سأل الله عز وجل أن يهبه ولداً

(1) سورة الأنبياء، الآيات: 57-65.
(2) قطب، سيِّد، في ظلال القرآن، م. س، ج 4، ص 2386.

يكون نبياً من بعده، ليسوس الناس بالحكمة والنبوة والوحي، وليحمل الأمانة والمسؤولية بحق وصدق، فأجاب الله دعوته - وكان حينئذ شيخاً كبيراً وامرأته عاقراً - فتعجَّب زكريا لأن العادة أن حاله وحال امرأته لا يُولد لهما، فأخبره الله تعالى أن ذلك عليه هيِّن، لأن أَمْر الله بين الكاف والنون إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، فكان أن وهبه الله تعالى يحيى ليحمل الأمانة والنبوة والحكم من بعده. وقد أخبر الله عز وجل أن يحيى عليه السلام تحمل الأمانة والمسؤولية والحكم والنبوة وهو صبي صغير.

قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1].

قال القرطبي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حذف، المعنى فولد له ولد وقال الله للمولود: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾. وهذا اختصار يدل الكلام عليه. و «الكتاب» التوراة بلا خلاف. (بقوة) أي بجد واجتهاد، قاله مجاهد. وقيل: العلم به، والحفظ له والعمل به، وهو الالتزام لأوامره، والكف عن نواهيه، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الأحكام والمعرفة بها. وروى مَعْمَر أن الصبيان قالوا ليحيى: إذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقت. فأنزل الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. وقال قتادة: كان ابن سنتين أو ثلاث سنين، وقال مقاتل كان ابن ثلاث سنين. . .خ»[2] وهذا تفسير كثير من المفسرين[3].

وقال ابن العربي رحمه الله: «المراد بالحكم ها هنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: الوحي. والثاني: النبوة. والثالث: المعرفة والعمل بها.

---

(1) سورة مريم، الآية: 12.

(2) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م، ج 11، ص 59.

(3) الطبري محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ-1999م، ج 8، ص 315.

- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، م. س، ج4، ص 261.

وهذا كله محتمل يفتقر إلى تحقيق، فأما من قال: إنه الوحي فجائز أن يوحي الله إلى الصغير، ويكاشفه بملائكته وأمره، وتكون هذه المكاشفة نبوة. . . ويجوز أن يرسله إلى الخلق كامل العقل والعلم مؤيداً بالمعجزة.

وأما العلم والعمل فقد روى ابن وهب، عن مالك في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال عيسى: أوصيكم بالحكمة، والحكمة في قول مالك هي طاعة الله، والاتباع له، والفقه في الدين والعمل به. . .»[1].

فهذا دليل أن الله تعالى حمَّل يحيى الأمانة والمسؤولية والعمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه عندما فهم وأدرك خطاب الله إليه.

وقد أخبر الله أنه كان صبياً صغيراً.

قال السعدي رحمه الله: «فلمَّا وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب، أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه. هذا تمام أخذ الكتاب بقوة»[2].

فهذا كله يدل على أن المراهقة لا وجود لها في المجتمعات القديمة، وإنما هي وليدة المجتمع المتحضر الذي هدف إلى تضييع أهم وأفضل فترة عطاء وتحصيل عند الإنسان، وهي فترة الشباب التي سميت بمرحلة المراهقة.

المطلب الثالث

يوسف الفتى عليه الصلاة والسلام

اتصف يوسف عليه الصلاة والسلام منذ الصِّغَر بصفات مميزة، وهذه من نِعَمِ الله عز وجل على يوسف عليه السلام. ولأن كل صاحب نعمة محسود فقد حسده إخوته

(1) ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، ج 3، ص 186.

(2) السعدي، عبد الرحمٰن ناصر، تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، دار الذخائر، الدمام، لا. ط، 1414هـ-1994م، ج 3، ص 194.

وكادوا له فرموه في غيابة الجب وكان حينئذ صغيراً لم يبلغ مبلغ الرجال. هذا الابتلاء من الله ﷻ هو سنة الله في الكون، حيث يبتلي ويمتحن الأنبياء والصالحين ثم الأمثل فالأمثل، فقد سئل ﷺ أي الناس أشدّ بلاء؟ قال: (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صُلباً اشتدَّ بلاؤه وإن كان في دينه رِقَّة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**)[1].

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2] وأوحينا إليه: «أي إلى يوسف تيسيراً له وتأنيساً لوحشته مع كونه صغيراً اجتمع على إنزال الضرر به عشرة رجال من إخوته، بقلوب غليظة قد نزعت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة، فإن الطبع البشري، فضلاً عن الدين يتجاوز عن ذنب الصغير ويغتفره لضعفه عن الدفع وعجزه عن أيسر شيء يراد منه. فكيف بصغير لا ذنب له، بل كيف بصغير هو أخ وله ولهم أب مثل يعقوب. فلقد أبعد من قال إنهم كانوا أنبياء في ذلك الوقت، فما هكذا عمل الأنبياء ولا فعل الصالحين، وفي هذا دليل على أنه يجوز أن يوحي الله إلى من كان صغيراً ويعطيه النبوة حينئذ كما وقع في عيسى ويحيى بن زكريا، وقد قيل: إنه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال، وهو بعيد جداً، فإن من كان قد بلغ مبالغ الرجال لا يخاف عليه أن يأكله الذئب»[3].

فالله تبارك وتعالى حفظ يوسف عليه السلام وعصمه عن الوقوع في المعاصي منذ

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ص 393، حديث رقم 2398.
- وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ص 580، حديث رقم 4023.
- والدارمي، كتاب الرقائق، باب في أشدّ الناس بلاء، ج 2، ص 412، حديث رقم 2783.

(2) سورة يوسف، الآية: 15.

(3) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لا. ط، لا.ت، ج 3، ص 10.

الصِّغَر، فلمَّا همت به امرأة العزيز وراودته عن نفسه عصمه الله ﷻ فأبى الوقوع في المعصية، وصرف الله ﷻ عنه السوء والفحشاء. كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[1].

قال المفسرون: الأشد بلوغ الحلم. والحكم: ما كان يقع منه من الأحكام في سلطان ملك مصر. والعلم: هو العلم بالحكم الذي كان يحكمه. وقيل: العقل والفهم والنبوة[2].

وقال ابن العربي عند كلامه على هذه الآية: «إنما بيَّن الله حال يوسف من حين بلوغه بأنه آتاه العلم، وآتاه العمل بما علم، وخبر الله صادق؛ ووصفه صحيح، وكلامه حقّ، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزِّنى وتحريم خيانة السيد أو الجار أو الأجنبي في أهله؛ فما تعرض لامرأة العزيز...»[3].

دلَّ ذلك على أن البلوغ علامة على العقل والفهم والتكليف وتحمّل المسؤولية، فلا يصح إطلاق لفظة المراهقة على البالغ العاقل لأنه مكلّف ومسؤول عن تصرفاته، وما سبب وجود المراهقة والتمادي في مفهومها في وقتنا الحاضر إلا البعد عن منهج ربّ العالمين، والانقياد لوساوس الشيطان الرجيم ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[4].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 22.

(2) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، م.س، ج 9، ص 107.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، م.س، ج 3، ص 14.
- الطبري، محمد بن جرير، تفسير القرآن المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، م. س، ج 7، ص 175.

(3) ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، م. س، ج 3، ص 36.

(4) سورة الجن، الآية: 6.

المطلب الرابع
فتية أهل الكهف

قصتهم معروفة ومشهورة ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «من ها هنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وعسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله شباباً. وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يُسْلِم منهم إلا القليل، وكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم فتية شباباً. . . . فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم. فآمنوا بربهم، أي اعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا الله. . .

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: وصبّرناهم على مخالفة قومهم ومباينتهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة؛ فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس، وكان يأمر الناس بذلك ويحثّهم عليه ويدعوهم إليه. فلمّا خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم،

(1) سورة الكهف، الآيات: 13 - 16.

وعرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم، من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض. فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز عنهم، ويتبّرز عنهم ناحية. وكان أول من جلس منهم وحده أحدُهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر، وإنما جمعهم هنالك الذي جمع قلوبهم على الإيمان. كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقاً[1]، من حديث يحيى بن سعيد، عن عُمْرَة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[2] [3].

فهؤلاء الفتية لم يوافقوا قومهم على منكرهم وشركهم بل خالفوهم واعترفوا لله بالوحدانية واعتزلوهم، وما ذلك إلا لسلامة فطرتهم وهداية الله عز وجل لهم فقد انتقلوا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة التكليف دون أن يمروا بمرحلة مراهقة، وهذا دليل على عدم وجودها في العصور القديمة، لعدم تَوَفّر الأسباب الدافعة إليها كما هو الحال في عصرنا الحاضر.

فهذه النماذج من القرآن الكريم دليل واضح وصريح على أن المراهقة بمفهومها الحالي لا وجود لها في العصور الماضية، وإنما هي وليدة الثورة الصناعية والمجتمع المتحضر الذي لم يعرف للإنسان قيمة ولا كرامة، بل هدف إلى إذلال الإنسان والوصول به إلى الهاوية، وجعله يلهث وراء شهواته ورغباته.

---

(1) الحديث المعلق: ما حُذف من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي. فإذا كان بصيغة الجزم (قال) (حكى) وكان في الصحيحين حُكِم بصحته. (انظر: الطحان: محمود، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثامنة، 1407هـ - ص 69-70).

(2) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ص 636، حديث رقم 3336.
- ومسلم، كتاب الأدب، البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، ج 16، ص 401، حديث رقم 6650.

(3) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، م. س، ج 4، ص 199.

المبحث الثاني
من السنة النبوية

المطلب الأول: تعليم النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه .

المطلب الثاني: سماحه ﷺ لعدد من الصحابة بالجهاد وهم صغار السن في أوقات وغزوات متعددة ومتفرقة.

المطلب الثالث: دعوة النبي ﷺ للصبيان وتعليمهم مبادئ الإسلام:

الفرع الأول: إسلام علي رضي الله عنه .

الفرع الثاني: إسلام الفتى اليهودي.

المطلب الرابع: تأمير النبي ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه على الجيش.

المبحث الثاني
من السنة النبوية

المطلب الأول
تعليم النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما

روى الترمذي عن ابن عبّاس قال: كنتُ خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: (يا غلام[1] **إنّي أُعلِّمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**)[2].

يتضح من الحديث أن النبي ﷺ كان يعتني بالصغار ويهتم بهم ويعلمهم أحكام الإسلام منذ الصِّغَر، ليشبوا على الهداية وعلى التمسك بدين الله عز وجل، فينتقلوا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة التكليف، من غير سَفَه ولا حمق ولا غشيان للمحارم، وما فساد حال المراهقين في هذا العصر، إلا لأنه لم يتوفر لهم أي شيء من العناية والرعاية، بل أُهمِلُوا ووُكلوا إلى جميع أنواع ووسائل الفساد والإفساد، حتى ضيَّعوا أهم مرحلة من عمرهم في أشياء تعود عليهم بالضرر في الدنيا والآخرة.

إن هذا الإهمال وهذا التقصير في حق الأولاد أول مَنْ يُسأل عنه الوالدان

---

(1) الغلام: الطارّ الشارب وقيل: هو من حين يولد إلى أن يشب. (ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، م.س، ج12، ص 440، مادة غلم).
(2) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، ص 409، حديث رقم 2516.

اللذين تخلّا عن المسؤولية ولم يتحملا الأمانة فكانت النتيجة خسارة كبرى لعدد كبير من شبابنا وبناتنا.

فما على المربين إلّا أن يتأسوا بالنبي ﷺ ويهتدوا بهديه، فيعتنوا بأبنائهم ويهتموا بتأديبهم، ويلقنوهم مبادئ وأحكام هذا الدين منذ نعومة أظفارهم، ويغرسوا في قلوبهم التوحيد الصحيح والإيمان الخالص بالله ﷻ، لينشأوا حاملين همَّ الإسلام، داعين إليه، مدافعين عن أي شبهة تُنسب إليه، وأي افتراء يفترى عليه.

المطلب الثاني
سماحه ﷺ لعدد من الصحابة بالجهاد وهم صغار السن في أوقات وغزوات متعددة ومتفرقة

ورد في كتب السِّيَر أنه ﷺ سمح لعدد كبير من الصحابة في عدة غزوات بالجهاد في سبيل الله، وقد كانوا صغار السن وفي مقتبل العمر، ومن ذلك: سماحه لعمير بن أبي وقّاص بالخروج للجهاد يوم بدر وهو في السادسة عشرة من عمره، وكان يخاف ألّا يقبله النبي ﷺ لأنه صغير، فكان يجتهد ألّا يراه أحد، فكان يتوارى، فسأله أخوه الأكبر سعد بن أبي وقاص عن ذلك فقال: أخاف أن يردّني رسول الله ﷺ وأنا أحب الخروج، لعلّ الله يرزقني الشّهادة، وكان ذلك، فأراد رسول الله ﷺ أن يردّه لأنه لم يبلغ مبلغ الرجال، فبكى عمير ورقّ له قلب رسول الله ﷺ فأجازه، وقتل شهيداً ﷺ في الغزوة[1].

ومن ذلك: أنه ﷺ استعرض يوم أُحد صغار السن الذين لا طاقة لهم بقتال فردَّهم إلّا سَمُرة بنُ جندبٍ ورافعَ بنَ خديج فأجازهما وهما ابنا خمس عشرة

(1) الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، السيرة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، لا. ط، 1399هـ-1979م، ص 243.

سنة، وكان قد ردَّهما، فقيل له يا رسول الله: إن سَمُرَة يصرع رافعاً، فأجازه. وردَّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأُسَيد بن ظُهَير، وموقف هؤلاء الصبيان وهم مقبلون على الموت بشجاعة ورغبة، يبعث الدهشة حقاً، وقد تنافسوا في ذلك متطلعين إلى نيل الشهادة في سبيل الله دون أن يجبرهم قانون للتجنيد أو تدفع بهم قيادة غاشمة إلى ميدان القتال، ولكن، أليست هذه سمات التربية المحمدية ومزايا الروح الإسلامية؟[1].

ومن ذلك أيضاً: سماحه ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما بالجهاد يوم الخندق، وكان عمره خمس عشرة سنة بعد أن ردَّه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة[2]. فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه)[3].

هذه بعض الأمثلة لعدد من الصحابة أَذِن لهم النبي ﷺ بالجهاد في سبيل الله تعالى وهم في مقتبل عمرهم، وبداية تكليفهم، ليدلّنا ﷺ على أن هذه المرحلة، هي مرحلة العطاء والتحصيل وتحمّل المسؤولية والدفاع عن ديننا الحنيف، وأنها ليست مرحلة الحمق والسفه وغشيان المحارم وخفة العقل، كما يقول بعض أصحاب الدراسات الحديثة.

---

(1) ابن هشام، عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، م. س، ج 3، ص 10-11.
(2) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، م.س، ج 2، ص 418.
(3) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ص 779، حديث رقم 4097.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ، ج 13، ص 15، حديث رقم 4814.

المطلب الثالث
دعوة النبي ﷺ للصبيان وتعليمهم مبادئ الدين

تمهيد:

إن من منهج النبي ﷺ تعليم الناس الخير ومبادئ الدين الحنيف.

ولمّا كان الشباب أكثر قبولاً للحق وأهدى للسبيل من الكبار الذين عتوا وعسوا على دين الباطل، فقد كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شباباً أما الكبار من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يُسلم منهم إلا القليل.

وما ذلك إلّا لأن الشاب والفتى ما زال في بداية نشأته فهو قابل للتأثّر بغيره، أما الكبير فإن تأثُرَه بغيره ضعيف ونادر. ولأن مرحلة الشباب أعظم عطاء وتحصيلاً فإن النبي ﷺ أولاها عناية خاصة، فكان يحادث الصبيان ويحاورهم ويعلمهم أمور دينهم ومبادئه، ويعاملهم معاملة الكبار من حيث اهتمامه بهم واحترامهم وتقديرهم وبناء شخصيتهم.

لذلك فإننا نجد أن عدداً كبيراً من الصبيان والصغار تأثّر بدعوة النبي ﷺ فأسلم ودافع عن دينه ونبيه بكل ما أُوتي من أسباب وقوة، ولو أدى ذلك إلى استشهاده.

الفرع الأول: إسلام علي رضي الله عنه:

قال ابن اسحاق: «ثمَّ كان أول ذَكَر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلّى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وهو ابن عشر سنين يومئذ، وكان ممّا أنعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام»(1) والسبب في نشأة عليّ رضي الله عنه في حجر رسول الله ﷺ: أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فأراد رسول الله ﷺ والعباس أن يخففا عنه، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله

(1) ابن هشام، عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، م. س، ج 1، ص 264.

تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه عليّ ﷺ، وآمن به وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه(1) .

الفرع الثاني: إسلام الفتى اليهودي:

قال أنس ﷺ : (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً)(2) فقد اتصف ﷺ بالصفات الحسنة والأخلاق الرفيعة فحقّ عليه قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾(3) . وقال أنس ﷺ : (خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لِمَ صنعت؟ ولا: ألا صنعت)(4) .

وممّا يدل على عظيم أخلاقه ﷺ ما رواه البخاري عن أنس أيضاً ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه. فقال له: (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (**الحمد لله الذي أنقذه من النار**)(5) .

وهكذا نجد أن النبي ﷺ حرص على دعوة الأولاد وتعليمهم مبادئ الدين منذ نعومة أظفارهم، ليشبوا على العفاف والتقى، ويبتعدوا عن السفه وغشيان المحارم، فيحققوا مرحلة شباب هنيئة وسعيدة، مليئة بالنشاط والعطاء والجد والاجتهاد.

(1) ابن هشام، عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، م. س، ج 1، ص264.
(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ص 1194، حديث رقم 6203.
(3) سورة القلم، الآية: 4.
(4) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ص 1168، حديث رقم 6038.
- ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ج 15، ص 69، حديث رقم 5966.
(5) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، ص 263، حديث رقم 1356.

المطلب الرابع
تأمير النبي ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه على الجيش

قفل النبي ﷺ من حجة الوداع، ومضت بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من العام العاشر فبدأ بتجهيز جيش إلى الشام وأمَّر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين، فتجهر الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان منهم أبو بكر وعمر، وكان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة وتكلَّم البعض في تأميره على كبار المهاجرين والأنصار وهو مولى وصغير السن، فلم يقبل النبي ﷺ طعنهم في إمارة أسامة بل أوصى به خيراً.

ولأن النبي ﷺ لا يلتفت في الولاية إلا إلى الجدارة كان من منهجه أن مَنْ استحق منصباً بكفاءته قدَّمه له، غير مكترث بحداثة سنه.

فإن كبر السن لا يهب للأغبياء عقلاً، ولا الصغر ينقص الأتقياء فضلاً.

لذلك قال رسول الله ﷺ -رداً على اعتراض الناقدين-: **(إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده)**[1].

وانتدب الناس يلتفون حول أُسامة، وينتظمون في جيشه، وخرجوا من المدينة، إلا أن الأخبار المقلقة عن مرض الرسول ﷺ أكرهتهم على التريث، حتى يعرفوا ما يقضي الله به، وقد قضى الله أن يكون هذا أول بعث ينفذ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه [2].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد، ص 844، حديث رقم 4469.

(2) ابن هشام، محمد بن عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، م. س، ج 4، ص 278.
- العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، م.س، ج 2، ص 552.
- الغزالي، محمد، فقه السيرة، م.س، ص 459-460.
- المباركفوري، صفي الرحمٰن، الرحيق المختوم، دار الذخائر، الدمام، الطبعة الرابعة، 1414هـ-1994م، ص 521.

فمن هذه النماذج يتبيّن لنا أن النبي ﷺ كثيراً ما كان يعتمد على عنصر الشباب، فيكل إليهم المسؤوليات العظام، والمهمات الجسام، ومن ذلك أنه ﷺ أرسل الشباب إلى الأمصار والأقاليم لتعليم الدين الحنيف فأرسل معاذاً إلى اليمن ومصعب بن عمير إلى المدينة، وأسند أبو بكر إلى زيد جمع القرآن وقال له: إنك شاب لا نتهمك في دينك، وكذلك أسند إلى عثمان الجمع الثاني ووصفه بأنه شاب غير متهم في دينه، وهذه مسؤولية من أعظم المسؤوليات التي ينهض بها الشاب المسلم[1].

وبذلك يشعرهم بوجودهم وأهميتهم، والعناية بهم، فَيصْلُحُوا ويُصْلِحُوا، ولأن إهمالهم وتركهم وعدم العناية والاهتمام بهم، وعدم ملء فراغهم، يؤدي بهم إلى الضياع والشتات وقد يَفسُدوا ويُفسِدوا.

فما أحوجنا إلى أن نهتدي بمنهج نبينا ﷺ فنهتم ونعتني بأبنائنا، خاصة في هذا الزمان الذي ضاع فيه شبابنا وبناتنا لعدم اهتمامنا وعنايتنا بهم.

فحري بالمربين أن يحسنوا تأديب الأولاد وتعويدهم وتدريبهم على تحمل المهام والمسؤوليات العظام، وبذلك يُشعِرونهم بوجودهم وأهميتهم وحاجة المجتمع المسلم إليهم.

---

(1) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م، ج 1، ص 233، 236.
- الشنقيطي، أحمد محمود عبد الوهاب، خبر الواحد وحجيته، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413هـ، ص 92.
وأصل ذلك ثابت في البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ص 291، حديث رقم 1496، وكتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ص 992، حديث رقم 4986.

المبحث الثالث

من السلف الصالح

المطلب الأول: مراقبة أبناء السلف الصالح لله عز وجل .

المطلب الثاني: محبة الأطفال للرسول ﷺ.

المطلب الثالث: قتال الأطفال لمن يؤذي النبي ﷺ.

المطلب الرابع: عناية أبناء السلف بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

خلاصة الفصل.

المبحث الثالث

من السلف الصالح

المطلب الأول

مراقبة أبناء السلف الصالح لله عز وجل

المؤمن يراقب الله عز وجل في جميع أعماله، ولا يتحقق ذلك حتى يصل الإنسان إلى مرتبة الإحسان، وقد فسَّر النبي ﷺ الإحسان عندما سُئل عنه بقوله: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[1].

قال ابن رجب رحمه الله: «الإحسان أن يعبد المؤمن ربَّه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته... وذلك يُوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: (**أن تخشى الله كأنك تراه**)»[2] [3]. «وينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل، هل حرَّكه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان الله تعالى، أمضاه وإلَّا تركه، وهذا هو الإخلاص»[4].

وقد اعتنى السلف الصالح بهذه المرتبة فكانوا يحرصون على الوصول إليها

---

(1) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله، ج 2، ص 115، حديث رقم 97.

(2) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو؟ وبيان خصاله، ج 2، ص 118، حديث رقم 99.

(3) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1412هـ-1991م، ج 1، ص 126.

(4) ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمٰن، مختصر منهاج القاصدين، م. س، ص 373.

ويودّون ذلك، لذلك فإننا نجد عدداً كبيراً من الأطفال تأثروا بهم، فمنذ الصِغَر وهم يشعرون أن الله ﷻ يراهم ومطّلع على سرائرهم. ويتضح ذلك جلياً من خلال هذه النماذج:

1 - كان ابن عمر في سفر فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة. فقال العبد: فأين الله؟ فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول بعد ذلك إلى مدة مقالة ذلك العبد، فأين الله؟

2 - كان لأبي عبد الله التُسْتَري رحمه الله تلامذة، فكان يخص واحداً بإقباله عليه أكثر ممّا يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أبين لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا ورجع كل منهم وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حيًّا، فقال: هلّا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد، فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه.

3 - وقد كان الشافعي رحمه الله وهو على صغر سنه يطلب الحديث ويصبر على شظف العيش، وكان من فقره يأكل الزيت قال رحمه الله: كانت أمي تأدمني الزيت فكنت أقول لها: يا أماه إنّ الزيت قد أحرق كبدي، فتقول له: إن الزيت يا بني طعام مبارك، فانظر إلى تلك النفس الأبية التي تحملت ما تحملت من أجل طلب العلم.

4 - ونختم هذه النماذج بورع الإمام أحمد بن حنبل في طفولته: كان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد، ليعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك، ورمى بها في الماء تأثماً من الوشاية والتسبب لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفتت هذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن حنبل: إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه[1].

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م. س، ص 88-90.

فهذه النماذج تبيّن وتوضِّح خشية السلف الصالح من الله تبارك وتعالى ومراقبتهم له ﷻ في السر والعلن، في القول والفعل، لذلك تخرَّج من بين أيديهم أجيالاً عديدة يخشون الله ويتقوه ويراقبوه في السر والعلن فكانوا وهم أطفال صغار، من أشدِّ الناس ورعاً وأكثرهم مخيفة وخشية من الله ﷻ ، فكان حالهم بين الخوف والرجاء.

المطلب الثاني
محبة الأطفال للرسول ﷺ

بلغ من محبة الصحابة رضي الله عنهم أنهم قدَّموا محبة النبي ﷺ على كل شيء، على الأهل والمال والولد والناس أجمعين. وذلك مصداق حديث النبي ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين)**[1].

وقد وصل بهم الحال أن يقدِّموا محبته ﷺ على أنفسهم، كما سبق في قول عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: فإنه الآن والله لأنت أحبَّ إليَّ من نفسي. قال النبي ﷺ: **(الآن يا عمر)**[2].

وعندما خدع المشركون عدداً من الصحابة ومنهم زيد بن الدثنة فأسروهم ثم أخرجوا زيداً من الحرم ليقتلوه. قال له أبو سفيان: يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ قال رضي الله عنه: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً[3]. وقصة زيد وأصحابه رضي الله عنهم أخرجها البخاري في صحيحه مفصّلة ومطوّلة[4].

(1) سبق تخريجه، ص 188، 189.
(2) سبق تخريجه، ص 189.
(3) ابن هشام، عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، م. س، ج 3، ص 164-165.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسين، السيرة النبوية، م. س، ص 273.
(4) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، ص 757، حديث رقم 3989 عن أبي هريرة.

هذه المحبة الصادقة كان لها كبير الأثر على أبناء الصحابة. لذلك نجد محبة النبي ﷺ دخلت إلى قلوبهم وهم صغار في مقتبل العمر. وممّا يدلّ على ذلك ما رواه البخاري عن أنس ﷺ: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: (وماذا أعددت لها) قال: لا شيء، إلا أني أحبّ الله ورسوله ﷺ، فقال: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ (أنت مع مَنْ أحببت). قال أنس: فأنا أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[1]. ومعلوم أن أنساً خدم النبي ﷺ وهو طفل صغير عمره عشر سنين ولمدة عشر سنين.

وممّا يدل على شدَّه محبة أطفال الصحابة للنبي ﷺ سرعتهم في الاستجابة والمبايعة له ﷺ، فقد صحَّ عند البخاري ومسلم (أن أسماء بنت أبي بكر لمَّا ولدت عبد الله بن الزبير أتت به إلى النبي ﷺ ليُحنكه... فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة... فمضغها ثمَّ بصقها في فمه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ، ثم قالت أسماء: ثمَّ مسحه وصلَّى عليه وسماه عبد الله ثمَّ جاء ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره الزبير بذلك، فتبسّم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه ثمَّ بايعه)[2].

وهكذا نجد أن الصحابة ﷺ كانوا محبين لرسول الله ﷺ أكثر من محبتهم لأنفسهم، وكذلك نشأ أطفالهم، يدفعهم إلى ذلك المربين والآباء والأمهات، ومن شبَّ على شيء شاب عليه.

ألا فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعاً أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد، بل هي الأساس في ترقيّه نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة.

وبدون هذه القدوة لا ينفع مع أولادكم تأديب، ولا تؤثر بهم موعظة! فاتقوا الله

(1) سبق تخريجه، ص 188.
(2) سبق تخريجه، ص 180، برواية البخاري، وهذه رواية مسلم.

- أيها المربون - بأولادكم، وكونوا معهم على مستوى المسؤولية لتروا أفلاذ الأكباد شموس إصلاح، وأقمار هداية... يستضيء أبناء المجتمع بنورهم، ويتأسون بمحاسن أخلاقهم، ويرتشفون من معين آدابهم... ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(1).

وقوله تبارك وتعالى أيضاً: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ...﴾(2).

المطلب الثالث
قتال الأطفال لمن يؤذي النبي ﷺ

حدثنا شاهد عيان قصة بطولية عن غلامين حديثي السن ملأ الإيمان قلبيهما، فذاقا طعمه فكان الله ورسوله أحبّ إليهما ممّا سواهما، فدفعهما ذلك إلى أن يقتلا ألدَّ الأعداء للنبي ﷺ وأكثرهم إيذاءً له، إنه أبو جهل.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الرحمٰن بن عوف أنه قال: (بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عمِّ! هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ يا ابن أخي! قال: أُخبرتُ أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منّا، قال: فتعجَّبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألاَ تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما، حتى قتلاه، ثمَّ انصرفا إلى رسول الله ﷺ. فأخبراه، فقال: (**أيكما قتله؟**) فقال كل واحد منهما: أنا قتلتُ، فقال: (**هل مسحتما سيفيكما؟**) قالا:

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 90.
(2) سورة التوبة، الآية: 105.

لا، فنظر في السيفين فقال: (كلاكما قتله)، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء[(1)].

قال النووي: «اختلف العلماء في معنى هذا الحديث: فقال أصحابنا: اشترك هذان الرجلان في جراحته، لكن معاذ بن عمرو بن الجموح ثخنه أولاً فاستحق سلبه. وإنما قال النبي ﷺ: (كلاكما قتله) تطييباً لقلب الآخر، من حيث إن له مشاركة في قتله، وإلا فالقتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب هو الإثخان».

وقد اشترك معهما في قتله ابن مسعود حيث «جاء بعد ذلك فوجد به رمق فحزَّ رقبته»[(2)].

وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي: أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشدَّته على ساعده بِنسْعَة[(3)]، ثمَّ أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! هذا ابني يقاتل عنك. فقال ﷺ: أي بني! احمل ها هنا؛ أي بني! احمل ها هنا. فأصابته جراحة، فصرع، فأتي به النبي ﷺ فقال: أي بني! لعلك جزعت. قال: لا، يا رسول الله[(4)].

وهكذا نجد أن الصحابة ﷺ كانوا يفدون الرسول ﷺ بأرواحهم وأنفسهم، ويُقَدِّمون دماءهم رخيصة من أجل المحافظة على النبي ﷺ، فقد مرَّ سابقاً قول

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، ص 757، حديث رقم 3988.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ج 12، ص 287، حديث رقم 4544.

(2) النووي، محيي الدين، يحيى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م، ج 12، ص 288.

(3) النّسْعُ: بالكسر: سير يُنسج عريضاً على هيئة أعنَّة النعال تُشَدُّ به الرحال والقطعة منه نِسْعَة، وسُمِّيَ نسعاً لطوله.. (انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، م.س، ص 990، مادة نسع).

(4) أخرجه ابن أبي شيبة، عبد الله محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، مكتبة ابن رشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1409هـ، ج 7، ص 370.

أبي طلحة للنبي ﷺ يوم أحد: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك[1] .

وهكذا نشأ أبناء الصحابة يُقدِّمون أرواحهم ودماءهم رخيصة أمام رسول الله ﷺ، يدفعهم إلى هذا إيمانهم القوي، ويحضهم على ذلك الآباء والأمهات الذين آثروا حياة النبي ﷺ على حياة أبنائهم وفلذات أكبادهم. فينبغي للمسلم أن يكون متيقناً أن هذه الأمة على خير كما أخبر النبي ﷺ : **(مثل أمتي مثل المطر لا يُدْرَى أوله خير أم آخره)**[2] .

ولا بدَّ هنا من الإشارة والإشادة بأطفال الانتفاضة المباركة، هذه النماذج المشرقة الحيّة والواقعية، المشرفة لهذه الأمة التي أحيت سيرة سلفنا الصالح بالجهاد والتضحية وحبّ الله ورسوله، فجعلوا أنفسهم رخيصة من أجل إعلاء كلمة الله والذود عن دينهم بكل ما يستطيعون ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[3] .

وقد نشَّأهم على ذلك الآباء والأمهات الذين يتمنون الشهادة لأبنائهم ويتشرفون بها، ويحتسبونهم عند الله شهداء دون وجل أو جزع. وما كان ذلك ليكون إلّا لأن الإيمان تمكّن من قلوبهم وتحكَّم بجوارحهم ومشاعرهم فدفعهم إلى هذا الموقف المشرِّف لهذه الأمة والمُعِز لها. وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: **(لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك)**. وفي رواية **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين. . .)** قال معاذ: وهم بالشام[4] .

---

(1) سبق تخريجه، ص 189.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، ص 459، حديث رقم 2869.

(3) سورة البقرة، الآية: 207.

(4) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، ص 694، حديث رقم 3641، وكتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين)، ص 1395، حديث رقم 7311.

المطلب الرابع
عناية أبناء السلف بالقرآن الكريم والسنة النبوية

اعتنى السلف الصالح بالقرآن الكريم والسنة النبوية عناية كبرى، فَتَأثَّر بهم أبناءهم فاهتموا بقراءة القرآن وحفظه والعمل به منذ الصِّغَر، وذلك لما للقرآن الكريم من تأثير كبير على النفس البشرية، فكلَّما اشتدت النفس صفاء كلَّما ازدادت تَأَثراً، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته ما زالت نقية، وفكره وعقله ما زال صافياً، بعيداً عن الدنيا وحطامها، لذلك فهو أقرب إلى الأخذ بالقرآن وحفظه والعمل به من الكبير.

وإذا استعرضنا التاريخ لوجدنا أن غالب الحافظين للقرآن والعاملين به، كانوا على صلة بالقرآن وتأَثُّر به منذ صِغَرهم. قال الإمام الشافعي رحمه الله: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر»[1].

ويقول سهل بن عبد الله التستري: «. . . فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين»[2].

«ورُوِيَ أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير على أستاذه الكسائي وكان من عادة الكسائي أن يطرق إذا قرأ المأمون فإذا أخطأ رفع رأسه ناظراً إليه فيرجع إلى الصواب، فقرأ يوماً المأمون سورة الصف. ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[3]، فرفع الكسائي رأسه فنظر المأمون إليه وكرر الآية وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة فمضى في قراءته. ولمّا انصرف الكسائي دخل المأمون على أبيه قائلاً: هل وعدت الكسائي بشيء؟ قال:

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم القرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، 1413هـ-1993م، ج 10، ص 11.

(2) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، م. س، ج 3، ص 74.

(3) سورة الصف، الآية: 2.

كيف علمت بذلك يا بني؟ فأخبره بالأمر فسرَّ الرشيد لفطنة ابنه وشدة ذكائه»[1]. فهذه الدقة العظمى من الأطفال لفهمهم للقرآن الكريم تدل على عنايتهم الفائقة به والتأثر الشديد بآياته.

وكذلك اعتنى أطفال السلف بالأحاديث النبوية فوعوها وحفظوها وهم صغار، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما كان غلاماً صغيراً يعلِّمه النبي ﷺ فيحفظ، ويحدث. قال رضي الله عنهما: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: **(يا غلام إنّي أعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...)**[2].

وأخرج البخاري عن محمود بن الربيع قال: (عقلت من النبي ﷺ مجَّة مجَّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين، من دلو)[3].

وأخرج الترمذي عن أبي الحوراء السَّعْدِيّ قال: قلت للحسن بن علي ما حفظت من رسول الله ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **(دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة)**[4].

وهكذا نجد أن أبناء الصحابة والسلف الصالح حرصوا على تعلم القرآن وحفظه وفهمه والعمل به، وكذلك سنة النبي ﷺ، منذ الصِّغَر، فكانوا مشاعل نور وهداية، وكان منهم الحافظ والمفسِّر والمحدِّث والترجمان، لأن العلم في الصِّغَر كالنقش على الحجر. فكانوا علماء عاملين، وأئمة مهديين، وحافظين فاضلين، ودعاة إلى دين مبين ومتين، فعمَّ نفعه العالمين.

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية للطفل، م. س، ص 108.
(2) سبق تخريجه، ص 186.
(3) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب متى يصحّ سماع الصغير، ص 40، حديث رقم 77.
(4) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، ص 409، حديث رقم 2518.

خلاصة الفصل

بعد هذا العرض لعدد من النماذج الشبابية من القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح، وهي على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر، وقد أظهرت سلامة فِطَر هؤلاء الفتية والشباب، فكانوا منذ صِغَرهم حريصين على الخير والبر، بعيدين عن الشر والإثم.

نستطيع القول: إن المراهقة بمفهومها الحديث الذي انتشر وشاع في المجتمعات المعاصرة أخيراً، لا وجود لها في المجتمعات القديمة والمحافظة.

وما هي إلا وليدة الثورة الصناعية والحضارة المزيَّفة، وقد سعى أعداء الإسلام بشتى الوسائل والأسباب لتصديرها إلى مجتمعنا وإيجادها فيه لإفساد شبابنا وبناتنا، وإبعادهم عن أخلاق دينهم ومبادئه وقِيَمِه، وغمسهم في مستنقعات الفساد والرذيلة، هدفهم من ذلك إذلال هذا المخلوق المكرَّم وإضعافه، وجعله يلهث وراء رغباته وشهواته ولذَّاته، بعيداً عن القيم الأخلاقية والآداب الإسلامية والإنسانية. قال محمد قطب: «لقد أدت الثورة الصناعية إلى تحطيم الأُسرة وإفساد الأخلاق وانتشار البغاء»[1].

فإذا أردنا أن نحفظ شبابنا وبناتنا من الوقوع في الإثم والرذيلة والشذوذ، فما علينا إلا أن نحرص على تعليمهم مبادئ وأخلاق هذا الدين، ونزرع في قلوبهم الإيمان والخوف من الله، لينشأوا على حبِّ الخير والطاعة، وبُغْضِ الشر والمعصية، ورفض أيّ سلوك يتعارض مع الفطرة السليمة والديانة الحنيفة.

(1) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، الطبعة الثانية، 1408هـ-1987م، ص 244.